«The Forgotten History of the Term "Palestine

التاريخ المنسي لمصطلح «فلسطين»

معهد هدسون- دوغلاس جاي فيث: المقال باللغة الإنجليزية

مرح حرز الله

تأتي هذه المادة ضمن «مخرجات مراكز الأبحاث الدولية » الصادرة عن المركز

مركز الأبحاث

مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسس عام 1965 في لبنان. يهدف المركز منذ تأسيسه التركيز على تغطية الصراع العربي- الإسرائيلي من خلال إصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وأرشفة الوثائق والمخطوطات التي تهدف إلى تحقيق هذا الغرض.يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثّق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية - القدس- فلسطين / تلفاكس :9702966228 +
e-mail: info@prc.ps
http://www.prc.ps

13 كانون الأول (ديسمبر) 2021

يبدأ دوغلاس جاي فيث، الباحث الرئيسي في معهد هدسون ووكيل وزارة الدفاع الأمريكية للشؤون السياسية بين العامين 2001 و2005، مقالته بالإشارة إلى التباين في الآراء حول طبيعة الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، فيذكر أن البعض يرى فيه صراعًا قوميًا، بينما يميل آخرون نحو التفكير فيه على أنه صراع ديني، وينظر إليه غيرهم كصراع قوة بين الشرق والغرب. وعلى الرغم من الاختلاف حول طبيعة الصراع وأسبابه، هناك اتفاق حول كون الأرض أحد العناصر الرئيسية فيه، وقد أطلق الكثيرون على الأرض موضع الصراع ولسنوات طوال اسم «فلسطين».

التطور في دلالة مصطلح فلسطين

يتخذ الباحث من عهد الرومان القدماء نقطة انطلاق في تناوله لمصطلح فلسطين في السياق التاريخي، فيبدأ بالعام 135 الميلادي حينما أطلق الرومان مصطلح «سورية الفلسطينية» على أرض إسرائيل كإجراء عقابي ردًا على تمرد اليهود على الرومان حسبما أشار. ثم ينتقل إلى الحديث عن أهمية المصطلح بالنسبة للمسيحيين كمرادف يعبر عن الأرض المقدسة وبالنسبة لليهود كمرادف لأرض إسرائيل، أما بالنسبة للعرب فيركز على عدم صياغتهم اسمًا خاصًا متميزًا للأرض الواقعة جنوب سورية واكتفائهم بوصفها بعبارات تشير إلى قدسيتها أو استخدام اللفظ العربي لكلمة فلسطين الرومانية. ويلجأ الباحث إلى الكتاب المقدس وعدد من المؤلفات الغربية للإشارة إلى أن فلسطين كانت منذ العصور التوراتية أرضًا ممتدة في منطقة نهر الأردن، كما يستعين بكتب ما قبل الحرب العالمية الأولى التي لم تصف نهر الأردن على أنه الحدود الشرقية لفلسطين، وعليه يوضح أن النهر كان يقسم فلسطين ولا يحدّها بحيث تمتد أراضيها على ضفتيه الشرقية والغربية.

ينفي الباحث التعامل مع أرض فلسطين كوحدة إدارية واحدة في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى حيث وقعت فلسطين لقرابة الأربعمئة عام تحت حكم الإمبراطورية العثمانية وكانت مقسمة إلى عدة محافظات ولم تشكل هذه المحافظات وحدة إدارية واحدة قط. أما أثناء الحرب العالمية الأولى، بادرت بريطانيا إلى احتلال فلسطين التي شكلت آنذاك جزءًا من أراضي الإمبراطورية العثمانية المعادية. قام الحلفاء المنتصرون في الحرب بتقسيم الشرق الأدنى العثماني إلى وحدات سياسية جديدة ووقعت بلاد ما بين النهرين وفلسطين تحت السيطرة البريطانية في العام 1920 وسورية بما فيها لبنان تحت الحكم الفرنسي دون تحديد حدود المناطق الثلاث. لم تولي السلطات البريطانية أهمية كبيرة للحدود بين بلاد ما بين النهرين وفلسطين كون المنطقتين كانتا قد وقعتا تحت حكمها، إلا أن ما يركز الباحث عليه هنا هو كيفية تعامل بريطانيا العظمى مع أراضي فلسطين على ضفتي النهر. لقد برزت أهمية إيجاد تعريف دقيق لمصطلح فلسطين بعد وعد بلفور الذي تعهدت بريطانيا العظمى بموجبه أن تساعد في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين حيث اقترح المفوض السامي البريطاني الاعتراف بفلسطين الشرقية كجزء من فلسطين بحيث تكون تحت إشرافه مع فلسطين الغربية، إلا أنها أصبحت في العام 1946 إمارة مستقلة عن الانتداب وبهذا بقي الجزء الغربي فقط من فلسطين تحت الانتداب البريطاني حتى العام 1948.

تعاطي الحركة الصهيونية مع تطورات مصطلح فلسطين

يفرد جاي فيث حيزًا من مقالته للحديث عن المواقف الصهيونية المتعلقة بالتغيرات التي طرأت على المنطقة الجغرافية التي يعبر عنها مصطلح فلسطين. قابل القادة الصهاينة السياسة البريطانية المتعلقة بالأراضي على

جانبي نهر الأردن بعدم الرضا لدرجة أن فلاديمير جابوتنسكي كان سيطالب البريطانيين بالتراجع عن قرار استبعاد المنطقة الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن من الوطن القومي اليهودي الموعود بموجب وعد بلفور. لم يختلف الأمر كثيرًا في أوساط الساسة البريطانيين فقد انتقد العديد منهم قرار فصل شرق الأردن عن فلسطين لدرجة أن القرار وُصف بأنه «التقسيم الأول لفلسطين» في إحدى جلسات مجلس العموم البريطاني في العام 1939. وقد درجت تسمية المناطق الواقعة غرب نهر الأردن بفلسطين والمناطق الواقعة إلى الشرق منه بشرق الأردن وهو ما ترتب عليه عواقب مستقبلية، مثل الاعتقاد بأن الجيش الإسرائيلي لم يترك للعرب شيئًا من فلسطين بعد حرب الأيام الستة وبأن الفلسطينيين أصبحوا بلا دولة وهو ما ركز عليه الباحث بشكل كبير.

بعد أن ناقش التحولات التي طرأت على مصطلح فلسطين، يطرح جاي فيث عدة تساؤلات حول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي منها: هل كان التصور العالمي بشأن الصراع العربي الإسرائيلي ليختلف لو استخدم مصطلح فلسطين الشرقية بدلًا من شرق الأردن؟ وهل ستختلف السياسة العالمية في حال الوصول إلى فهم بأن المملكة الأردنية الهاشمية تقع في شرق فلسطين وأن إسرائيل في غرب فلسطين؟ لقد كانت هذه الأسئلة موضع نقاش لسنوات طويلة وحتى في داخل إسرائيل بل إن مضمونها استُخدم في مرات عديدة كذريعة لرفض تقديم تنازلات لصالح الفلسطينيين ومن ذلك رفض تقاسم الأرض التي تسيطر عليها إسرائيل مع الفلسطينيين من أجل إقامة دولة عربية ولو على جزء من فلسطين بحيث كان الرد الإسرائيلي أن الأردن دولة عربية وهي موجودة فعليًا في فلسطين.

يصل الباحث في نهاية مقالته إلى خلاصة مفادها أن مصطلح فلسطين كان يضم الأراضي الواقعة على ضفتي نهر الأردن تاريخيًا وبهذا فإن المملكة الأردنية هي في الأساس الجزء الشرقي من فلسطين ولم تتضح حدودها إلا في وقت متأخر لدى موافقة عصبة الأمم على ذلك بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية. ويرى أن الخرائط البريطانية لفلسطين إبان الانتداب ما هي إلا وثائق مضللة لأن إمارة شرق الأردن بقيت جزءًا من فلسطين وخضعت للانتداب البريطاني حتى استقلت في العام 1946 ومن هنا يكون «التقسيم الأول» لفلسطين متضمنًا لنزع بريطانيا العظمى جزءًا من الوطن القومي اليهودي الموعود بحيث تصبح إمارة شرق الأردن خارج حسابات سياسات تشجيع الهجرة اليهودية وتشجيع الاستيطان وبالتالي منع الجماعات الصهيونية من الاستقرار فيها. يختم الباحث مقالته بالقول إن تتبعه لتطور دلالة مصطلح فلسطين وحدوده الجغرافية عبر التاريخ ما هي إلا محاولة لعرض ما يعتبره الرواية التاريخية الحقيقية وليست حجة تنطلق منها دولة إسرائيل في محاولاتها لإقامة السلام مع جيرانها العرب رغم تأكيده أن تتبعه هذا يدحض حجة أن فلسطين لا تضم اليوم سوى دولة واحدة.